الكتابات وسائل للتواصلات

د. عبد القادر عيساوي

جامعة بلعباس ـ الجزائر

الكتابة، أو الرسم أو الخط، ترجمة الكلام المسموع برسوم وأشكال. أو بتعبير آخر هي تصوير ألفاظ لغة بحروف هجائية. يُطلَق أيضا على الكتابة التي تعتمد الحروف تسمية الألفباء أو الألفبائية. ويمكن تقسيم الكتابة أو الألفبائية إلى أنواع هي: الكتابة الإملائية، وهي موجودة في كل لغات العالم. الكتابة العثمانية خاصة بالقرآن الكريم. الكتابة العروضية، المتبَعة أثناء عملية تقطيع البيت الشعري. وهي نوعان: كتابة عروضية حرفية، كتابة عروضية ثنائية الرمز.وتوجدان في اللغة العربية فقط. الكتابة الصوتية، وهي نوعان: عربية ودولية (واسعة أو صوتية، وضيقة أو فونولوجية). الكتابة البريلية أو طريقة بريل، خاصة بالعميان. الكتابة المورسية. وهذه الكتابات كانت قديما ولا زلت حاليا تُعَدُّ وسائل لمختلف التواصلات بين بني البشر.

بعد أزمان طويلة من عدم التأريخ، اهتدت البشرية إلى الكتابة والترميز، وشرعت كل أمة في التعبير عن أصواتها اللغوية بأشكال ورموز، اصطُلح على تسميتها بالحروف. وتعددت هذه الحروف باختلاف الأمم وتعدد اللغات، وتباين المناطق وتغير الثقافات. وكغيرها من البشر، عرفت الشعوب السامية، بما فيها العرب، حروفا ذات ترتيب معين، عُرف هذا الترتيب بتسمية الأبجدية.

مفهوم الكتابة

الكتابة هي ترجمة الكلام المسموع برسوم وأشكال. أو بتعبير آخر هي تصوير ألفاظ لغة بحروف هجائية[1]. ويُطلَق على الكتابة أيضا تسميَتَيْ الرسم و الخط. فالرسم أو الخط العربي[2]هو الكتابة العربية.

وابتكرت الكتابة بعد مضي قرون ساد فيها الكلام أو اللغة المنطوقة، وذلك في ثلاثة مواطن حضارية هي الصين والعراق ومصر[3].

الكتابة والألفبائية

يُطلَق أيضا على الكتابة التي تعتمد الحروف تسمية الألفباء أو الألفبائية. وهذان المصطلحان الأخيران يعنيان الحروف. غير أننا نداوم، في بحثنا الذي بين أيدينا، على مصطلح ألفبائية، بدل ألفباء، مع أن لهما نفس المقصود. وذلك تماشيا مع المصطلح المرادف له (الأبجدية)، من الناحية التركيبية، حيث يُعتبران على التوالي مصدرا صناعيا لكلمتَيْ ألفباء وأبجد[4].

أنواع الكتابة

يمكن تقسيم الكتابة أو الألفبائية إلى ستة (6) أنواع هي: الكتابة الإملائية، الكتابة العثمانية، الكتابة العروضية، الكتابة الصوتية، الكتابة البريلية، أو طريقة بريل، الكتابة المورسية.

1. الكتابة الإملائية

الكتابة أو الألفبائية الإملائية[5]هي الكتابة التي تعتمد على الحروف أو الرموز المعروفة في مختلف اللغات في العالم. وينبغي في الألفبائية الإملائية أن تُمَثل بصدق النطق السليم، وذلك بأن يوضع لكل صوت واحد حرف واحد، وبالتالي يُكتب فقط ما يُنطق[6]. والكتابة الإملائية قواعد تُمَكِّن من الكتابة الصحيحة والتصوير السليم للفظ بالحروف. وهذا النوع من الكتابات يُعرَف اختصارا بتسمية الكتابة أو الخط.

فالكتابة الإملائية هي المعتاد استعمالها في كل لغة. ويُقال لها كذلك الكتابة العادية أو الخط القياسي. وموضوع الكتابة الإملائية رسم الحروف الهجائية بشكلها الصحيح المعروف، ومن ذلك كتابة الهمزة والتاء في اللغة العربية. والفائدة منها معرفة الراجح في الكتابة والبعد عن الخطأ.

وتوجد أنوع كثيرة من الكتابة الإملائية، بحسب تعدد الألفبائيات، حيث أن الكتابة الإملائية تُنسَب إلى الألفبائية أو الحروف التي تُكتب بها.

فنقول الكتابة الإملائية العربية بالنسبة للكتابة الإملائية التي تُستخدم في اللغة العربية أو اللغات التي تُكتب بالحروف العربية. ونُطلق تسمية الكتابة الإملائية اللاتينية على الكتابة الإملائية التي تُستعمل في اللغات التي تُكتب بالحروف اللاتينية. وهكذا.

فالمقصود بالكتابة الإملائية العربية تلك الكتابة التي يُكتب بها عادة في اللغة العربية. وهي مثل الكتابة العروضية والكتابة الصوتية العربية، لأن من خصائص اللغة العربية أنها "كما تُنطق تُكتب، وكما تُكتب تُنطق"[7]. ولا تختلف عن هتين الكتابتين إلا في حالات قليلة ومحدودة جدا، ومن هذه الحالات نذكر الحركات المزدوجة أو التنوين (الفتحتان، الضمتان، الكسرتان).

2. الكتابة العثمانية

هي الكتابة التي كُتِب بها القرآن الكريم في عهد الخليفة عثمان بن عفان. ويقال لها أيضا الخط أو الرسم العثماني، وهو سنة متبعة. وكلمتا "عثمانيّة" و "عثمانيّ" هنا نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان، وليس إلى الدولة العثمانية، مع أن الاثنين (الخليفة والدولة) لهما نفس النسبة. وهذه الكتابة العثمانية خاصة باللغة العربية دون غيرها.

3. الكتابة العروضية

تتجلى الكتابة العروضية في الكتابة المتبَعة أثناء عملية تقطيع البيت الشعري، ويمكن تقسيمها إلى نوعين:

- كتابة عروضية حرفية: فيها تُعتبر وتُكتب بالحروف الأصوات التي تُنطق، وبالتالي تُغفل ولا تُعتبر الأصوات التي لا تُنطق.

- كتابة عروضية ثنائية الرمز: تتضمن رمزين اثنين فقط هما: الدائرة (0) للحرف الساكن، والخط المائل (/) للحرف المتحرك (سواء كان مفتوحا أو مضموما أو مكسورا). وتوجد الكتابة العروضية في اللغة العربية فقط.

4. الكتابة الصوتية

الكتابة الصوتية أو الألفبائية الصوتية[8] نظام من الرسم الكتابي للتصوير الدقيق للنطق بواسطة حروف أو رموز خاصة، لا يمكن إدراكه بالألفبائيات الإملائية. وتوجد أنظمة مختلفة للكتابة، أشهرها نظام الجمعية الصوتية الدولية. وهناك الكتابة الصوتية على مستوى كل لغة، منها

الكتابة الصوتية العربية. وأيضا الكتابة الصوتية الدولية. وسنقتصر هنا على بيان موجز لهاتين الكتابتين الصوتيتين[9].

أ- الكتابة الصوتية العربية

هي الكتابة الصوتية التي تُستخدم فيها الحروف العربية لكتابة الأصوات اللغوية. ومعروف أن الكتابة الصوتية العربية تتميز بوضع حرف واحد لكل صوت واحد، وهذه ميزة يندر وجودها في الكتابات واللغات الأخرى.

ب- الكتابة الصوتية الدولية

الكتابة الصوتية الدولية[10]هي الكتابة الصوتية التي تعتمد أساسا على الحروف اللاتينية، وأحيانا على رموز من غيرها من اللغات، مثل اللغة اليونانية، إلى جانب ابتكار رموز أخرى كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وهذه الكتابة نوعان: واسعة وضيقة.

- الكتابة الصوتية الدولية الواسعة: يُخصَّص فيها رمز واحد لكل وحدة صوتية (فونيم). فمثلا صوت الجيم له رمز أو حرف واحد، وصوت النون له رمز واحد، وهكذا. وفيها تُدَوَّن فقط العناصر ذات الوظيفة اللغوية. ويُستخدَم فيها خطان مائلان هكذا / / .
- الكتابة الصوتية الدولية الضيقة : تُسجَّل فيها تفاصيل كل وحدة صوتية، وهنا قد يكون للصوت الواحد عدة رموز أو حروف بحسب سياقاته. ففيها تدون كل الفروق الملاحظة أو المراد تأكيدها. ويوضع النص الصوتي بين معقوفتين هكذا [ ].

ويسمى نوعا الكتابتين أيضا على التوالي الكتابة الصوتية والكتابة الفونولوجية.

5. الكتابة البريلية

تبدو هذه الكتابة في شكل نقاط متفاوتة الأحجام، للحروف والأرقام وعلامات الترقيم وبعض الرموز الرياضية المشهورة. وكل رمز منها يتكون من ستة نقاط. وهي كتابة خاصة بالعميان.

وقد سمينا هذه الكتابة بالبريلية نسبة إلى مخترها الفرنسي لويس بريل (1809-1852). ويُطلق عليها أيضا طريقة بريل، أو اختصارًا بريل[11].

6. الكتابة المورسية

هذه الكتابة ترميز تلغرافي (تصويري عن بُعد) يتكون من نقاط وخطوط اصطلاحية لحروف الألفبائية وللأرقام، وكذا لعلامات النقط والخطأ وبداية الإرسال ونهايته. وقد أطلقنا على هذه الكتابة تسمية المورسية نسبة إلى مخترعها الأمريكي صموئيل مورس (1791-1872). وتسمى أيضا شفرة مورس، أو باختصار مورس فقط. ومنذ أول يناير 1999 تم التخلي عن هذه الكتابة، واستُعمل بدلها نظام فضائي (أي نظام يشتغل بالأقمار الصناعية)[12].

فهذه مجمل الكتابات التي وقفنا عليها، وقد اختصرنا بيانها، وقرَّبنا مفهومها، للقارئ أستاذا أو طالبا أو مثقفا. ومن خلال ما سلف يتبين لنا كيف كانت ولازالت هذه الكتابات، رغم تنوع رموزها وأشكالها، وسائل للتواصلات بين شرائح البشر المختلفة، في أوقات متباينة، وحالات متعددة.

مراجع البحث وإحالاته

1 – يُنظر: د. إميل يعقوب، د. بسام بركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي – إنكليزي – فرنسي). ط 1. بيروت. دار العلم للملايين. 1987. ص: 193.

2 – يُنظر: الدكتورة شايان عبد اللطيف أبو زنادة، تقديم الدكتور رشدي أحمد طعيمة، الخط العربي في التعليم العام: واقعه – تقويمه – تطويره، ط 1، د. م، د. د، 1426 هـ/ 2005م، تقديم الكتاب، ص: 12.

3 – يُنظر: أ.د. كمال بشر، علم الأصوات، ص: 630.

4 – الأبجدية تُستهل الأبجدية بحرف الألف وتُختتم بحرف الغين، وهي كما يلي: أ، ب، ج، د، ه، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت، ث، خ، ذ، ض، ظ، غ. فيبلغ عدد حروف الأبجدية ثمانية وعشرين (28) حرفا.

وهي مجموعة في ثماني كلمات كما يلي: أَبجَد، هَوَّز، حُطِّي، كَلَمُن، سَعَفَص، قَرَشَت، ثَخَذ، ضَظَغ. ولعل هذا الجمع تَمّ من أجل تسهيل حفظ الأبحدية وتيسير استيعابها. ويخالف المغاربة في ترتيب الكلمات الأبجدية بعد (كَلَمُن)، فيجعلونها: (صعفص، قرست، ثخذ، ظغش). وتُستعمَل الأبجدية في ترتيب العناصر، وأيضا في حساب الجُمَّل.

الألفبائية : تُعتبَر الألفبائية الأساس في أيّ لغة كانت، حيث هي الشكل الذي تظهر به. وهي تتمثل في الحروف التي تُكْتَبُ بها هذه اللغة. ويمكن تعريف الألفبائية، بصفة عامة، بأنها "حروفٌ لكتابة أصوات لغة، ومُرَتَّبة وفق نظام معين". وهي تُستخدَم في ترتيب مواد المعاجم، وكذا ترتيب العناصر. ويُعتبر الترتيب الألفبائيّ في وضع المعاجم أوسع أنواع الترتيب انتشارا وأكثرها استعمالا.

ومصطلح "ألفبائية" يقابله في الإنجليزية والفرنسية مصطلح (Alphabet)، وهو مصطلح ذو أصل يوناني، يتكون من الحرفين الأوَّلين من الحروف اليونانية أَلْفا (Alpha) وبِيتا (beta). الألفبائية العربية من أفضل الألفبائيات، وتُعتبر نظاما صوتيا، حيث أن لكل صوت رمزه المستقل.

وحروف هذه الألفبائية هي كالآتي: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، ه، و، ي . وتسهيلا لحفظها، قمنا بجمعها في سبع كلمات رباعية الحروف كما يلي: أَبَتَثٌ، جَحَخَدٌ، ذَرَزَسٌ، شَصَضَطٌ، ظَعَغَفٌ، قَكَلَمٌ، نَهَوَيٌ.

وتيسيرا للنطق، أوردنا الحروف الثلاثة من كل كلمةٍ مفتوحةً، والحرف الرابع مجزوما. وهذا الترتيب هو الذي وضعه نصر بن عاصم. حيث جعل الحروف المتشابهة في الرسم بعضها قرب بعض.

5 – ويقال للكتابة الإملائية أيضا الكتابة التاريخية أو الحالية، التي وصلت إلينا عبر الأجيال. يُنظر: د. إميل يعقوب، الخط العربي: نشأته، تطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه، م س، ص. 77. نقلا عن: أنيس فريحة، الخط العربي، نشأته ومشكلته، ص. 102–104. الكتابة الإملائية Orthographic transcription

6 – يُنظر: أ.د. كمال بشر. علم الأصوات، م.س، ص: 630–633.

7 – يحسُن مراجعة موضوع "خصائص اللغة العربية"، في فصل "عموميات عن اللغة العربية"، من كتابنا: "الوجيز في اللغة العربية وعلومها"، م. س، ص. 36.

8 – الكتابة الصوتية: Transcription phonetique/ Phonetic transcription .

الألفبائية الصوتية: alphabet Phonetique / Phonetic alphabet.

9 – يُنظر: مصطفى حركات، م. س، ص: 15. أ.د. كمال بشر. علم الأصوات، م.س، ص: 572 و625–635.

10 – الكتابة الصوتية الدولية ك ص: دIPT International phonetic transcription

11 – يُنظر: د. يوسف محمد رضا، الكامل الوسيط زائد، قاموس فرنسي – عربي، مفصل وموضح بالرسوم، د. ط، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1999، ص: 150. .Petit Larousse 2008, Braille

12 – يُنظر: د. يوسف محمد رضا، الكامل الوسيط زائد، م س، ص: 97 و 150. .Petit Larousse 2008, Morse